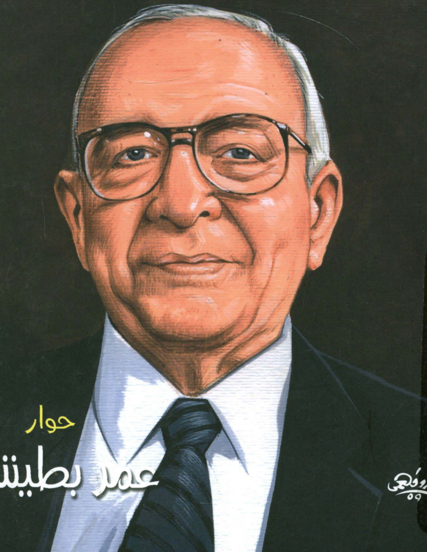
دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية

السياسي الكبير

خالد محي الدين

شاهد على العصر



حوار

عمر بطيشة

السياسي الكبير

خالـد محي الديـن

شاهد على العصر

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش م م)

العنوان: ١٢ ش الدقي – الجيزة – مصر
تليفون: ٣٧٦٢٢٨٣٠/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣١/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢/ ٠٠٢ –
٣٧٤٨٠٧٢٩/ ٠٢ – ٣٧٤٩١٣٨٨/ ٠٢
فاكس: ٣٣٣٨٢٠٧٤/ ٠٢

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

بطيشة، عمر.
السياسي الكبير: خالد محي الدين / حوار: عمر بطيشة – ط ١٠ – القاهرة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش م م)، [٢٠٠٩] ٧٢ص؛ ٢٢ سم. / ١٨
تدمك: 978-977-455-507-7
رقم الإيداع: ٢٢٦٩٢ / ٢٠٠٩
١- برامج الإذاعة.
٢- المثقفون المصريون.
٣- محي الدين، خالد.
أ- العنوان
ديوي: ٣٨٤,٥٤٤٣

الطبعة العربية الأولى: ٢٠١١
المطبعة: مطبعة آيات
www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

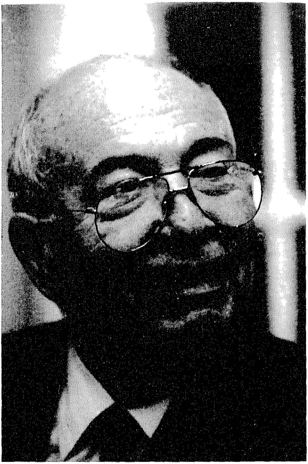
السياسي الكبير

خالــد محي الدين

شاهد على العصر

حوار

عمر بطيشة



السياسي الكبير خالد محيي الدين

تقديم

شهد وطننا العديدَ من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان لها أثر كبير في تاريخنا المعاصر، وقد تباينت الآراء حولها بين مؤيد ومعارض؛ ولأنه من حق الأجيال الجديدة أن تعرف تاريخ تلك الأحداث المهمة دون تزييف أو تنميق؛ لإيماننا بحق الناس الأصيل في المعرفة، فإذا كان هذا التاريخ مبهمًا أو مزورًا، ترتب على ذلك تشوه في الوجدان القومي يؤثر بصورة حتمية على الحاضر والمستقبل؛ لذا قمنا بنشر هذه السلسلة من برنامج «شاهد على العصر» - الذي كان يقدمه الإذاعي اللامع، الأستاذ: عمر بطيشة؛ رئيس الإذاعة المصرية سابقًا - نعرض من خلالها لشهادة مجموعة من أبرز الشخصيات العامة التي كان لها حضور مؤثر على الساحة الإعلامية، فكانوا بذلك شهود عيان على الفترة التي عاشوا فيها، كل يدلي برأيه فيما شاهده من أحداث ووقائع. هذا ولم نقتصر في اختيارنا لهذه الشخصيات على فئة معينة من الأفراد، أو توجه سياسي معين، بل تناولنا شخصيات سياسية، وأدبية، وعلمية، تمثل

كافة التيارات الثقافية والسياسية في مصر، وقد التزمنا الحياد التام، وتوخينا الصدق والأمانة في عرضنا لهذه الآراء كما أدلى بها أصحابها؛ لتكون سجلًّا موثَّقًا لفترة مهمة من تاريخنا الحديث، آملين أن نكون قد قمنا بإثراء الوعي الثقافي لدى أبناء هذا الجيل.

الناشر

مقدمة

منذ أن عرف العالم معنى القوميات السياسية والدول، تنوعت نظم الحكم وسبل السلطة وأنواع المؤسسات؛ فأصبح لكل إمبراطورية مؤسساتها الحاكمة ومنظِّروها العسكريون وقادتها العظام، وقد وضع العديد من القادة والمفكِّرين والمنظِّرين العديد من النظريات السياسية والاتجاهات الفكرية التي اعتنقها الكثيرون، ومع هؤلاء وآخرين من أمثالهم دار الصراع تدريجيًّا حول التوجهات الفكرية، التي أصبحت مدعومةً بقوى سياسية على امتداد فترات التاريخ؛ فهناك رأسمالية رعتها دول الغرب الصاعد قبل قرنين من الآن، بعدما اجتاحته ثورتان من كبريات الثورات في التاريخ؛ هما الثورتان الأمريكية والفرنسية، وتخلص الغرب تدريجيًّا من سلطة الكنيسة، واتجه نحو العلمانية الليبرالية، وأعطى المزيد من الحقوق للإنسان والمواطن، وأرسى مؤسساتٍ للدولة في غاية القوة لحماية هذا الإنسان، والحفاظ على حقوقه ومكتسباته.

ثم سرت عدوى الثورة إلى الشرق فثارت روسيا على الكنيسة، وأصبحت دولةً شيوعيةً كبرى تناوئ الغرب الرأسمالي.

والشيوعية مذهب فكري كان مثاليًّا في بدايته، ثم أخذ وضعًا عمليًّا مع منظريه الكبيرين كارل ماركس وفردريك إنجلز، وتم تطبيق أفكار هذين المفكرين الكبيرين حول نظام الحكم الشيوعي، والنظرة للدين والأسرة والمجتمع عمليًّا في روسيا، التي سرعان ما اتسعت وأصبحت كيانًا كبيرًا يعرف بالاتحاد السوفييتي على يد جوزيف ستالين، ومع نهاية الخمسينيات نجح ماو تسي تونج الزعيم الصيني الكبير في إقامة نظام حكم شيوعيٍّ عرف رسميًّا باسم «جمهورية الصين الشعبية العظمى»، وتدافعت هذه القوى والدول المنحازة لها بقوانين الصراع الديني مع بعضها؛ لتتمخض في النهاية عن هزيمة مبدأين آخرين هما النازية والفاشيستية في حربٍ ضاريةٍ لم تعرف لها البشرية مثيلًا، عُرفت بالحرب العالمية الثانية.

واندلعت بين المذهبين الكبيرين الشيوعية؛ ممثلةً في الاتحاد السوفييتي، والليبرالية الرأسمالية؛ ممثلةً في الولايات المتحدة الأمريكية، حرب أخرى ثالثة هي الحرب الباردة، التي أسفرت في النهاية عن انهيار الاتحاد السوفييتي، نتيجة سباق التسلح السريع الذي استجاب له الاتحاد السوفييتي؛ فاختل اقتصاده، وانهار فجأةً مع بريسترويكا جورباتشوف.

ولكن الحرب مع المبادئ والنظم لم تنتهِ؛ فسرعان ما اختارت الصين طريقًا ثالثًا لحماية مصالحها؛ فأعادت فتح اقتصادها بعد ماو تونج، ونجحت في منافسة الغرب صناعيًّا في أسواق العالم بمنتجاتٍ أرخص، ولكنها أقل جودةً، ونجحت في إغراق الأسواق بها، كما أنها نجحت في إقامة برنامجها النووي منذ الستينيات، وأصبحت تنافس بقوة، ولها إستراتيجيتها التي لا تفرِّط فيها تجاه الغرب الرأسمالي بمؤسساته العتيدة.

الشيوعية:

ورد ذكر الاشتراكية والشيوعية في حديث خالد محيي الدين مرارًا، والشيوعية – حسب رؤية البعض – هي نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمي إلى السيطرة على المجتمع ومقدَّراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوي، حتى لا يمتاز فردٌ عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع.

وتعتبر الشيوعية (الماركسية) تيارًا تاريخيًّا من التيارات المعاصرة. والأب الروحي للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس، ومن أهم من توغل في النظرية الشيوعية، وأسهم في الكتابات والتطبيق فيها هو فلاديمير لينين.

وفي الرؤية الماركسية؛ تعد الشيوعية مرحلةً حتمية في تاريخ البشرية، تأتي بعد مرحلة الاشتراكية التي تقوم على أنقاض المرحلة اللاقومية، ويرى ماركس أن الصراع التنافسي للبرجوازية يولِّد العهد

الكوسموبوليتي الذي يغلب عليه الطابع الاحتكاري، وتحوُّل الربح التنافسي للربح الاحتكاري سيؤدي إلى ثوراتٍ تفرض النظم الاشتراكية، ويتقاضى كل فرد في المجتمع حسب عمله؛ حيث يتم القضاء على الملكية الخاصة، وتأتي الشيوعية كتطورٍ تاريخي للاشتراكية.

ومن ميزات العهد الشيوعي – في اعتقاد الشيوعيين – أنه عهد أممي، وتزول الدولة تلقائيًّا وتضمحل؛ بحيث يتلاشى وجودها، بينما يرى أعداء الشيوعية أن التطور التاريخي يقود إلى مرحلة العولمة. وقد رأى فوكوياما أن العولمة نهاية التاريخ، وفي النظام العالمي الذي تنبأ به فوكوياما يقول: إنها ستقصي ثمانين بالمائة من سكان الأرض خارج سوقِ العمل، وسيعيشون على الفتات. ويرى الشيوعيون أن مرحلة العولمة هي ذاتها مرحلة الكوسموبوليتية التي تحدث عنها ماركس في بيانه الشيوعي، لكن الشيوعيين يرون أن عهد العولمة الكوسموبوليتي سينتهي إلى نظام اشتراكيٍّ تفرضه الثورات، أما أعداء الشيوعية فيرون أن العولمة هي نهاية التاريخ، ولن تتطور البشرية بعدها.

الشيوعية الأولى:

كثير من المثقفين الغربيين قاموا بالدفاع عن أفكارٍ مشابهةٍ لفكرة الشيوعية؛ ففي القرن الرابع قبل الميلاد، قام الفيلسوف اليوناني

أفلاطون باقتراحٍ يضع ملكية العقار بيد طبقة مثقفة من المجتمع؛ لكي يبعد عن طبقات المجتمع الدنيا التناحر فيما بينها في ملكية العقار.

في العام ١٥٣٤م، قام المدعو جون من مدينة لايدين الهولندية بتحويل مدينة منستير - التابعة الآن لألمانيا - إلى مجتمعٍ أطلق عليه اسم «القدس الجديدة»، وابتدع فكرة تعدد الأزواج والزوجات إلى أن هجم الكاثوليك على تلك المدينة؛ مما أدى إلى حدوث مذبحة في المدينة ونهاية حلم المدعو جون.

في القرن التاسع عشر وإبَّان الثورة الصناعية في أوربا، سئم الكثيرون من الانحطاط والاضطهاد اللذيْن ألَمَّا بالناس نتيجة اللهث وراء لقمة العيش فاعتزلوا المجتمع، ونذكر هنا روبرت أوين الذي اعتزل المجتمع وكوَّن مجتمعًا صغيرًا أسماه «نيو هارموني» في ولاية إنديانا الأمريكية، وكان المجتمع الصغير الذي أنشأه يتخذ طابعًا شيوعيًّا.

أفكار ماركس وإنجلز:

أفكار كل من كارل ماركس وفريدريك إنجلز مثَّلت الشيوعية كحركة ثورية، ولكنهما لم يقولا بضرورة تبلور هذه الحركة في بقعة معينة من العالم، بل من الممكن أن تحدث في العالم كلِّه استنادًا إلى الورقة التي تقدَّم بها الرجلان في وصف الشيوعية.

يصف الرجلان التاريخ - بحلوه ومرِّه - بأنه صراع بين طبقات المجتمع، وفي كل مجتمع نجد أن طبقة تمثل الأقلية صاحبة النفوذ تشرف على عملية الإنتاج والعطاء، بينما السواد الأعظم من المجتمع يسهم إسهامًا قليلًا في عجلة المجتمع الاقتصادية والإنتاجية.

في هذه المرحلة، كانت الرأسمالية تتحكم وتسيِّر عجلة الاقتصاد بصورة غير منصفة من وجهة نظر كارل ماركس في ورقته المعنونة بـ(نظرية قيمة العمل)، ويُسهب الرجل في كيفية استغلال البرجوازيين للطبقة الكادحة، ويستدلُّ بالطريقة التي يشتري بها أرباب الأعمال وقت العامل، عن طريق دفع راتبٍ مقطوعٍ لهذا العامل، ومن ثمَّ يقوم ربُّ العمل ببيع السلعة التي يصنعها العامل بفارق ربح!

كان كارل ماركس يرى في العملية آنفة الذكر إجحافًا بحقِّ العامل، وأن هناك خللًا في تطبيق العدالة بين ما يجنيه العامل من عائدٍ متمثِّلٍ في راتبه المقطوع، وبين الربح الفاحش الذي يجنيه أرباب الأعمال.

يعتقد ماركس أنها مسألة وقتٍ يعي فيها العمَّال في شتَّى أنحاء الأرض الأهداف المشتركة في تحقيق العدالة الاجتماعية، ويتَّخذ العمَّال الخطوة الأولى في الإطاحة بأرباب الأعمال، والقيام على تقسيم الثروة بينهم وعزل البرجوازيين من معادلة الرِّبح، وأن هذا التصرُّف سيكون تلقائيًّا وحتميًّا.

لينين والشيوعية:

استنادًا إلى نظرية كارل ماركس، سيتحوَّل العالم الرأسمالي إلى عالمٍ اشتراكيٍّ، وفي النهاية سيصل به المطاف إلى الشيوعية، وكانت الشيوعية ما زالت نظريةً في الكتب باستثناء «كومونة باريس»، ولم يتمَّ التطرق إلى أسس التنظيم بشكل مباشر للأحزاب الشيوعية، والتدابير الثورية التي وضعها كارل ماركس وفريدريك إنجلز كانت عاجزةً أن تكون أمية؛ فمثلًا كان أحد التدابير الثورية هو أن على الشيوعيين عند الاستيلاء على السلطة البدء بتأميم المصارف، وهذا التدبير لا ينطبق على الدول التي لا يوجد فيها مصارف خاصة؛ لذلك نوه إنجلز لاحقًا بأن التدابير الثورية تكون حسب ظروف الدول، وهنا جاء لينين ليضع أساسيَّات التدابير الثورية، وأسس تنظيم الأحزاب الشيوعية، وقام بأول ثورة شيوعية، وارتبط اسمه باسم الشيوعية؛ حيث أصبحت الأحزاب الشيوعية تنتهج الماركسية اللينينية، ويعبِّر اسم الماركسية عن أيديولوجيا الأحزاب الشيوعية، ويعبِّر اسم «اللينينية» عن أسس التنظيم.

كلمة «الشيوعية» في اللغة:

الشيوعية في اللغة تأتي من كلمة مشاعية، والمشاعية هي في مفهوم الماركسيين والشيوعيين، مشاعية الملكية للأرض ووسائل الإنتاج، ويرى الشيوعيون أن الشيوعية هي مرحلة تاريخية تتلو الاشتراكية،

وحسب أدبيات الأحزاب الشيوعية؛ فإن الفرق بين الشيوعية والاشتراكية يتلخَّص بالشعارات التالية؛ حيث إنه في النظم الاشتراكية، يكون لكلٍّ عمله ولكلٍّ حسب جهده، أما في العهد الشيوعي؛ فيكون لكلٍّ عمله، ولكل حسب حاجته.

فروق بين اليسارية والشيوعية:

يعتبر الكثيرون النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق والصين أثناء حكم ماو تسي تونج تيارًا يساريًّا، ولكن هناك فروقاتٍ كبيرة بين الشيوعية والحركات اليسارية الأخرى، ومعظم اليساريين يرفضون أيَّ صلة بالشيوعية؛ بسبب الشمولية التي كانت موجودة في نظامي الحكم في الاتحاد السوفيتي والصين، والتي اعتبرها اليمين سياسةً قمعية، وهناك من بين الشيوعيين من اعتبر السياسة الشمولية القمعية لا صلة لها بالشيوعية، وأنها كانت فقط معبِّرةً عن أفكار جوزيف ستالين وتياره المسمى بـ«الستالينية»؛ حيث اعتبر ليون تروتسكي الستالينية خروجًا وخيانةً لمبادئ الشيوعية، وسمي هذا التيار بالتروتسكية.

كان الكثير من الحركات اليسارية في أوربا تعارض مبدأ التسلط الشمولي في الاتحاد السوفيتي، ومن أشهر المعارضين اليساريين الأوربِّيين للشمولية كان حزب العمال البريطاني، والحزب الاشتراكي

الديمقراطي الألماني، والحزب الاشتراكي الفرنسي، وفي الولايات المتحدة عارض اليسار المتمثل بالحزب الديمقراطيِّ الأمريكيِّ بشدة أسلوب الحكم في الاتحاد السوفييتي، خاصةً أثناء الحرب الباردة.

مؤخرًا طرأت تغيرات على الصين؛ حيث تحولت من دولةٍ شيوعيةٍ تقليديةٍ إلى تيارٍ أقرب إلى اليمين، وبرز يساريون جدد في الصين مرحِّبين بمرحلةٍ ما بعد الحداثة، والتركيزِ على خصوصية الصين الثقافية والتاريخية.

اليسارية والدين:

لكون اليسار قد نشأ كردٍّ فعلٍ على هيمنة الكنيسة على صنع القرار السياسي في القرون الوسطى في أوربا؛ فقد كان اليسار منذ بداياته معارضًا لتدخل الدين في الشؤون السياسية، وعندما برزت نظريات تشارلز داروين على السطح قام اليسار بدعمها بقوة، بل كان البعض مقتنعًا بأن قانونَ الانتقاء الطبيعي في علم الأحياء والوراثة يمكن تطبيقه حرفيًّا على المجتمعات وعلم الاجتماع؛ فصراع التيارات الفكرية المختلفة يحسمه القوة العددية للمؤمنين بالفكرة، وأن الأقوياء في المجتمع يعتبرون الطبقات الفقيرة عالةً وعقبةً في الطريق؛ مما يؤدي إلى استغلالٍ وقمعٍ أكثر، وإن قانون البقاء للأصلح يُستعمل

حرفيًّا من قبل بعض الأعراق التي تعتبر نفسها فوق مستوى أعراق أخرى؛ مما يؤدِّي إلى إباحة العبودية والظلم الاجتماعي.

ومن القضايا المثيرة للجدل - والتي لها أبعاد دينية، ولا تزال محلَّ خلافٍ بين اليمين واليسار السياسي - قضايا عقوبة الإعدام، ومبدأ العين بالعين التي يعارضها اليسار بشدة، بينما يعتبره اليمينُ مقبولًا، وقضية الإجهاض التي يرفضها اليمين رفضًا قاطعًا، بينما يعتبره اليسار مقبولًا.

واجه هذه النظرة التقليدية إلى دور الدين والتوجه نحو العلمانية عقباتٌ عديدةٌ في كل البلدان العربية دون استثناء، ويرجع سبب ذلك حسب اعتقاد البعض أن الدين يلعب دورًا محوريًّا في حياة وروح وثقافات وأذهان أغلبية الشعوب العربية، ويورد البعض حالاتِ نجاحٍ نادرةً للتيارات اليسارية في العالم العربي، كما حدث مع الحزب الشيوعيِّ العراقيّ، في الخمسينيات والستينيات، والحزب الشيوعي السوداني، وحسب الاعتقاد السائد أن السبب الرئيسي في شعبية تلك الأحزاب في السابق كانت محاولاتها احترام مشاعر الجماهير الدينية، وعدم التعالي على مناسباتها ومعتقداتها وثقافاتها الدينية، ومحاولتها الاقتراب من مشاعر الناس وأمزجتها الدينية.

الإسلام واليسارية:

وضع الإسلام نظامًا شاملًا للحياة في كل المناحي؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويعتبر هذا النظام متفرِّدًا، وقد جعل الله – سبحانه – في هذا النظام ما يصلح أركان الدولة الإسلامية على المدى الطويل؛ وذلك لتوافر عنصري المرونة والقابلية للتطور فيه، ورغم أن عمر تجربة الحكم الإسلامي الراشد كان قصيرًا فإنها آتت أكلها، وأثبتت صدق توجهها وعدالة مسارها، حتى إن بنيانها لم يتضعضع تمامًا، وإنما أصابه بعض التشوه من الناحية السياسية فقط، وأما بقية المناحي فقد لحقها التطور، كما أن الجماهير العريضة من المسلمين قد تشبعت بروح هذا النظام، وظلتْ تدافع عنه فكرًا وعملًا لأزمنة طويلة، ولما عجزت الدولة الإسلامية إبَّان ضعفها عن تلبية متطلبات هذا النظام، قامت الجماهير بأغلب أدوار الدولة تطوعًا؛ فبنت المساجد والبيمارستانات وغيرها، كما تنازلت عن الأرض والبنيان بمحض إرادتها مقابل جزاءٍ أخرويٍّ آمنت به تمامًا. ولم تفلح الضربات المتعاقبة على كيان الأمة في شلِّ هذه الروح إلا قليلًا، ولم يصرفها عن القيام بهذا الدور إلا وطأة الأنظمة الجديدة التي وجدتها هذه الجماهير بعيدة وغريبة عن الروح الأصيلة لما ألفته في نظام الدولة الإسلامية، الذي يجمع بين الروح والمادة في رباط رشيد.

كذلك أُسس النظام الإسلامي في بدايته على التقوى، وهي معنًى إسلامي عام لكل ما ترغب فيه الشريعة وتأمر به، وما تبغضه وتنفِّر منه.

ذلك هو النظام الإسلامي، أما اليسارية فهي منهج فكري وضعه البشر، وأضاف إليه البشر، وعدَّل فيه البشر، وتقادمت عليه الردود، وكيلت له الاتهامات من الشرق والغرب، وهذا النظام له - كما لغيره - كثير من الحسنات ومجموعة من المآخذ في وجهات نظر واعتقاد علماء الإسلام ومفكِّريه.

وقد تبين الصدام الحقيقي والتنافر البيِّن بين الإسلام واليسارية، حين حكمت أو تمكنت من حكم الجماهير الغفيرة من المسلمين.

وما يهمنا هنا هو أن اليسارية فشلت في طرح أفكارها على الجماهير؛ لأن الجماهير المسلمة تنظر إلى أي مبدأ دخيل على المبادئ الأساسية للإسلام نظرة ريبة، وخصوصًا مع تراجع معدل التعليم ورجوع هذه الجماهير إلى الفطرة. ورغم أن الجهل له مساوئ فإن للفطرة الإنسانية دورًا وقائيًّا في صدِّ الأفكار الغريبة على بنيتها ومعدنها.

وفي رؤى خالد محيي الدين التي طرحها حول اليسارية والإسلام ما يتعارض مع آراء النخبة المسلمة التي ترى في قبول الجماهير المسلمة للفكر اليساري محضَ تصورٍ غير قابل للتطبيق؛ لأن وصول الشيوعية أو غيرها من التوجهات إلى السلطة باختيار الجماهير المسلمة أمر صعب الحدوث.

خالد محيي الدين

النشأة:

ولد خالد أمين محيي الدين بمدينة كفر شكر بمحافظة القليوبية عام ١٩٢٢م لأسرةٍ معروفة، في بيت شرقيٍّ ساحرٍ، له حديقة واسعة مليئة بالأشجار والورد والتمر حنة. يقول عنه خالد محيي الدين في مذكراته التي نشرها بعنوان «والآن أتكلم» ص٢١: «لم يكنْ بيتًا عاديًّا، إنه تكية السادة النقشبندية، هنا قبر الجد الأكبر لأمِّي الشيخ الخليفة محمد عاشق، هنا أيضًا مسجده، ودراويش الطريقة النقشبندية يشغلون الدور الأول من التكية، وأنا ووالدتي وجدي الشيخ عثمان خالد، شيخ الطريقة وناظر الوقف، نشغل الدور الثاني.

باسم جدي لأمي سميت، وفي رحاب التكية عشت طفولتي، ألهو في حديقتها البديعة، وأستمتع بعبق حياة دينية سمحة وهادئة، المسجد يعلو فيه الأذان كل يوم خمس مراتٍ، ودراويش التكية ونحن معهم نصلّي. أنا أذهب إلى المدرسة، وجدي يشرف على شؤون الدائرة في الغرفة المسماة بالديوان، والدراويش يحيَوْن حياة تعبد تثير الاهتمام، بل لعلها هي التي ألهمتني - وحتى الآن - هذا الإحساس الرفيع بالتدين السمح المتفاني في حب البشر».

عائلة ثرية:

انتمى خالـد محيـي الـدين إلى عائلـة ثريـة وعريقـة تمتلـك أرضًـا وأموالًا، وقد كفل له هذا حياة هادئة، ويحكي خالـد محيـي الـدين في كتابه «والآن أتكلم»: ص ٢٢، عن عائلتـه قـائلًا: «أبي كـان مقـيمًا في كفر شكر يُشرف على زراعة الأرض لثلاثة أيـام في الأسـبوع تقريبًـا، ثم يأتي ليقيم معنا، وعندما تنتهي أشهر الدراسة أنطلق إلى كفر شـكر لأقيم بجوار التختبوش (المضيفة) في بيت العائلـة، هنـا تبـدو الحيـاة مختلفة؛ فالجد محيي الدين تاجر ومزارع شاطر، تـاجَر في القطـن عـلى زمان الحرب الأهلية الأمريكية وكسب كثيرًا، وفي كفر شكر اشـترى مئات الأفدنة، ولما عـادت أسـعار القطـن إلى الانخفـاض تحـوَّل إلى زراعة الفاكهة، ويرتبط اسم محيي الدين بكفر شكر؛ فهو الذي أدخل فيها زراعة العنب والمانجو والبرتقال».

التَّعليم:

تلقَّى خالـد محيـي الـدين دراسـته في مدرسـة أوليـة بالقريـة، ثـمَّ بمدرسـة العباسـية الابتدائيـة، ومدرسـة فـؤاد الأول الثانويـة. وفي مدرسة فؤاد الأول بدأ في الانغماس في المناخ السياسي العام، وشـارك في العديد من المظاهرات.

وعن هذه البداية يقول خالد محيي الدين في كتابه «والآن أتكلم» ص ٢٤ – ٢٥:

«ويأتي عام ١٩٣٦م مصحوبًا بالصخب والجدل حول معاهدة ١٩٣٦م، وأندمج أنا أكثر فأكثر في المناخ السياسي والمناقشات السياسية مع الطلبة... وكانت المشاعر الوطنية تتراكم بصورة واضحة. كنَّا جميعًا كذلك، مصر كلها كانت في حالة عصبية؛ فالمعاهدة وُقِّعتْ، والإنجليز ما زالوا موجودين، وهتلر وموسوليني يطرحان أفكارهما التي تجد رواجًا لدى البعض، وفي أحيانٍ كثيرة يختلط العداء للإنجليز والاحتلال بالإعجاب بهتلر الذي يملأ قلب الإنجليز رعبًا. ويبدأ إعجابي بأحمد حسين ومصر الفتاة، كلماتهم الساخنة في مجلة «الصرخة» كانت تحرِّك مشاعري بالعداء للاحتلال وبمحبة الوطن». وذلك على عكس نشأته الهادئة إذ يقول: «في التكية؛ «حيث الهدوء والسكينة النفسية لم يكن ثمة مجالٌ للاقتراب من السياسة، حتى تفجرتْ مظاهرات ١٩٣١م، كنت في التاسعة عندما شاهدت صخب المتظاهرين وتصادمهم مع البوليس، والتقطت أذناي المندهشة هتافاتهم الصاخبة، لكن هذا الصخب لم يهزَّ هدوء التكية ولو بأقل قدر. حتى كان يومٌ تصاعد فيه الصخب داخل التكية ذاتها، أبي الذي

يأتي لعدة أيام كل أسبوع، كان ساخطًا على مظاهرات المعادين لصدقي، أما خالي العائد لتوه من فرنسا حيث حصل على ماجستير في الاقتصاد؛ فكان معاديًا لصدقي منددًا بدكتاتوريته، ومتشددًا في المطالبة بالدستور».

في الكلية الحربية:

التقى خالد محيي الدين في الكلية الحربية بشخصياتٍ عديدة، كان لها دور في حياته وحياة الوطن فيما بعد، مثل: مجدي حسنين، ولطفي واكد، وصلاح هدايت وكانوا دفعته، وكذلك ثروت عكاشة، وحسن إبراهيم وكان في رتبة «أمباشي» وقتها، وكذلك صلاح سالم أيضًا، وكمال الدين حسين وكان في رتبة «شاويش»، والتقى بعبد اللطيف بغدادي وكان في السنة النهائية، وكان هو وحسن إبراهيم في الطيران يحضران للدراسة في الكلية الحربية، ثم يذهبان ليتدربا على الطيران.

كما كان زكريا محيي الدين مدرسًا له في النهائي، ويوسف صديق كان مدرسًا أيضًا، وكان أحمد عبد العزيز يدرس له مادة «تاريخ عسكري»، ويقول عن الأخير: «كان وطنيًّا دافِقَ الوطنية، وقد أثَّر فينا تأثيرًا كبيرًا».

ويحلِّل خالد محيي الدين هذه الظروف بقوله:

«نتوقف لبعض الوقت لنتساءل: كيف أتى هؤلاء جميعًا في هذه الفترة بالذات؟ ولماذا أسهموا جميعًا في حركة الضباط الأحرار فيما بعد؟ والإجابة سهلة؛ ففي ١٩٣٦م وبعد توقيع المعاهدة اتجهت النية لزيادة عدد الجيش، ومن ثم زيادة عدد الضباط، ولعل الإنجليز أدركوا احتمال الاحتياج إلى قوات مصرية في صدامهم المرتقب مع هتلر؛ فقرروا زيادة الجيش، وزيادة تسليحه، وتحويله إلى جيشٍ حقيقيٍّ.

وقبل ١٩٣٦م كانت الكلية الحربية لا تقبل إلا عددًا محدودًا من الضباط، كلهم من أبناء الفئات العليا المصرية، وكانت الدراسة بها شكلية تخرِّج ضبَّاطًا، ليس مطلوبًا منهم أية واجبات قتالية، أو عسكرية حقيقية».

تخرَّج خالد محيي الدين في الكلية الحربية عام ١٩٤٠م، وقد تخرَّج في كلية أركان حرب عام ١٩٤٨م، واشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، فأبلى بلاءً حسنًا في المجدل وعراق وسويدان والفالوجا ودير سنيد وبيت جبريل، وكُلِّف بمهامٍّ الاتصال بالقوة المحاصرة بالفالوجا مع صلاح سالم.

عاد إلى القاهرة بعد انتهاء حرب فلسطين؛ ليعمل مدرِّسًا بالكلية الحربية ومدرسة المشاة، ثم في كلية أركان حرب حتى قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م، وكان قد حصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥١م.

علاقته بالإخوان المسلمين:

بدأتْ علاقة خالد محيي الدين بالإخوان عن طريق الضابط الذي انتمى قلبًا وقالبًا للإخوان المسلمين وهو عبد المنعم عبد الرؤوف، وهو الضابط نفسه الذي دبر لقاءه الأول مع جمال عبد الناصر، ثمَّ بعد ذلك دبَّر له لقاءً آخر مع مسؤول الجهاز الخاصِّ للإخوان المسلمين الصاغ محمود لبيب، الرجل الذي كان له دورٌ خطر وكبير في مسيرة الجماعة وعلاقتها بخصومها فيما بعد، ويصف خالد محيي الدين هذه المقابلة في كتابه «والآن أتكلم» ص ٤٣ بالآتي:

«ذات يوم مر عليَّ عبد المنعم عبد الرؤوف، وعرض عليَّ أن نلتقي بضابطٍ آخر يحمل ذات الهموم، ويبحث عن إجاباتٍ لذات الأسئلة، وأخذني لأقابل جمال عبد الناصر، وكان لقائي الأول معه.

لكنَّ عبد المنعم عبد الرؤوف ما لبث أن طلب مني أن يعرِّفني بضابطٍ آخر.. وأخذني إلى جزيرة الشاي في حديقة الحيوان؛ حيث قابلت الصاغ محمود لبيب الذي عرفت فيما بعد أنه مسؤول الجناح العسكري في الإخوان المسلمين».

ذهب خالد محيي الدين في لقائه الأول بمحمود لبيب ومعه عثمان فوزي الشيوعي، وبدأ محمود لبيب يتكلَّم في تؤدةٍ - حسب وصف خالد محيي الدين - ويتطرَّق إلى موضوع الدين دون تعجُّل، كان يعرف أن محرِّك الضباط الأساسي هو القضية الوطنية؛ فظلَّ يتحدث عن هذا الموضوع ولكن بنكهة إسلامية، وكان خالد يلحُّ في استخراج إجابات محددة عن أسئلة شغلتْ باله طويلًا؛ الوطن وكيفية تحريره، وبأية وسيلة؟ وما هو الموقف من المفاوضات؟ وكان يجيب هو في حذر وذكاء، فلم يكن يريد أن يخسر المستمع إليه بإلقاء الإجابات التقليدية للإخوان، كان يقول: مصر سيحرِّرها رجالها، وشباب القوات المسلحة هم قوتها الضاربة.. وتواصلت مقابلات خالد محيي الدين مع محمود لبيب، وفي مرة تالية حضر اللقاء جمال عبد الناصر، ثم تقابل كل منهما على انفرادٍ بمحمود لبيب.

وبدأت علاقة خالد محيي الدين مع الإخوان، وتكونت مجموعة عسكرية تضم العديد من الضباط، ويتحدث عن هذه الفترة فيقول: «لم نعد نلتقي في أماكن عامة، وإنما بدأنا نعقد اجتماعات منتظمة في البيوت؛ فكنا نجتمع في بيت مجدي حسنين، وأحيانًا في بيت الضابط أحمد مظهر - الذي صار ممثلًا بعد ذلك».

لقاء مع حسن البنا:

اعترف خالد محيي الدين بأنَّ المرشد العام الأول ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا، كان يمتلك مقدرةً فذّة على الإقناع، وعلى التسلُّل إلى نفوس مستمعيه، وأنه كان قويَّ الحجة واسع الاطلاع.

أمَّا عن لقائه معه فيستطرد خالد محيي الدين قائلًا عنه: «وفي اللقاء الأول معه بدأنا نحن بالحديث وطرحنا – أنا وعبد الناصر – آراءنا، وعندما تكلم البنا أفهمنا بهدوء وذكاء أن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة، ولا تتطلب منا نفس الولاء الكامل الذي تتطلبه من العضو العادي، وأنتم أتيتم إلينا بهذه القضية الوطنية، فأهلًا وسهلًا».

ولكنَّ خالد محيي الدين وصل هنا إلى النقطة التي أثارها كثيرًا في نص شهادته، وهو ما يتعلق بالبرنامج السياسي الذي ظلَّ يلحُّ في طلبه من الحركات الإسلامية، وكانت هناك إجابة لدى حسن البنا، يقول خالد محيي الدين:

«تناقشنا معه – يقصد حسن البنا – وكان رحب الصدر، ألححت في ضرورة إعلان برنامج، قلت: لن نستطيع أن نكسب الشعب بدون برنامجٍ واضحٍ يقدِّم حلولًا عملية لمشكلات الناس، وأجاب: لو وضعت برنامجًا لأرضيت البعض وأغضبت البعض، سأكسب ناسًا وأخسر آخرين، وأنا لا أريد ذلك».

مغادرة الإخوان:

تتالتْ مقابلات الضباط مع حسن البنا، وقد كان يمتلك حججًا كثيرةً، لكنَّها لم تكن كافيةً ولا مقنعةً بالنسبة لأكثرهم، وظلَّ عبد الناصر مستريبًا في أن الجماعة تريد أن تستخدم الضباط كمجموعة؛ لتحقيق أهدافها الخاصة.

وظل خالد محيي الدين يوالي قراءة الكتب الماركسية، وازداد إلحاحًا في مناقشاته على ضرورة وضع برنامج للجماعة يحدِّد أهدافها الوطنية، وموقفها من مطالب الفئات المختلفة، وبدأ في هذه المناقشات ينحو منحًى يساريًّا، وأصبح – حسب قوله – نشازًا في مجموعة من المفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين.

حسن البنا ورباطه الوثيق:

حين فشلت محاولات الإخوان المسلمين في السيطرة الأيديولوجية التامَّة على محيي الدين وعبد الناصر جرتْ محاولة لربطهم تنظيميًّا بالجهاز الخاصِّ للإخوان المسلمين، ويروي ذلك خالد محيي الدين قائلًا: «أخيرًا حاول حسن البنا أن يشدَّنا إلى الجماعة برباطٍ وثيق، وتقرَّر ضمِّي أنا وجمال عبد الناصر إلى الجهاز السرِّيِّ للجماعة.. ربما لأننا الأكثر فعالية وتأثيرًا في المجموعة، ومن ثم فإن كسبنا بشكل

نهائيٌّ يعني كسب المجموعة بأكملها، وربَّما لأننا كنَّا نتحدث كثيرًا عن الوطن والقضية الوطنية، ومن ثم فقد تصوَّر حسن البنا أن ضمَّنَا للجهاز السرِّي؛ حيث التدريب على السلاح والعمل المسلح يمكنه أن يرضي اندفاعنا الوطني، ويكفل ارتباطًا وثيقًا بالجماعة.

وبالفعل اتصل بنا صلاح خليفة، وأخذنا - أنا وجمال عبد الناصر - إلى بيتٍ قديم في حيِّ الدرب الأحمر باتجاه السيدة زينب، وهناك قابلنا عبد الرحمن السندي المسؤول الأول للجهاز السريِّ للإخوان في ذلك الحين، وأدخلونا إلى غرفة مظلمةٍ تمامًا، واستمعنا إلى صوتٍ أعتقد أنه صوت صالح عشماوي، ووضعْنا يدنا على مصحفٍ ومسدسٍ، وردَّدْنا خلف هذا الصوت يمين الطاعة للمرشد العام في المنشط والمكره، وأعلنَّا بيعتنا التامَّة الكاملة والشاملة له على كتاب الله وسنة رسوله».

علاقة خالد محيي الدين بـ «إيسكرا»:

بمجيء عام ١٩٤٧م أصبحت علاقة كلٍّ من خالد محيي الدين وجمال عبد الناصر بجماعة الإخوان المسلمين باهتةً تمامًا، ولكنه -أي خالد محيي الدين - كان لا يزال على علاقته الحميمة بعثمان فوزي، وكان لم يزل يزوِّده من حينٍ لآخر بكتب ليقرأها، وتيقن خالد محيي الدين أن عثمان فوزي قد أصبح عضوًا في جماعة «إيسكرا» الشيوعية.

وكان لا بد أن تكون هناك حيثياتٌ لارتباط خالد محيي الدين بـ«إيسكرا»، يقول حاكيًا كيف بدأت خطواته الأولى مع «إيسكرا»:

«وفي أوائل ١٩٤٧م - يناير أو فبراير لا أذكر تحديدًا - التقيت بأحمد فؤاد، ولست أعتقد أن الأمر تمَّ بالمصادفة؛ فقد كان أحمد فؤاد يبحث عني، والحقيقة أننا كنَّا صديقين قديمين؛ فقد تزاملنا في مدرسة الناصرية الابتدائية، وتلاقينا كثيرًا في نادي القاهرة النهري، وكثيرًا ما تشاركنا التجديف معًا، وعندما رآني قال دون مقدماتٍ: هل تمانع في أن نجلس معًا؟ كنت أعرف أنه وكيل نيابة، وأنه شيوعيٌّ، ولم أمانعْ في مقابلته. وفي المقابلة حضر علي الشلقاني المحامي، وتحدثَا مباشرةً ودون لفٍّ أو دوران، وعرضَا عليَّ الدخول في منظمة إيسكرا الشيوعية».

وقد أوحى هذا الطلب المباشر إلى خالد محيي الدين أنَّ عثمان فوزي قد زوَّد أحمد فؤاد والشلقاني بمعلوماتٍ عنه، وأنَّ هذه المعلوماتِ قد منحتهما القدرة على هذه المفاتحة المباشرة.

ولم يمانع؛ لأنه - والعهدة عليه - كان لمْ يزل يبحث عن طريقٍ له يقوده كي يضع نفسه في خدمة مصر، كي يهبهَا ما يستطيع من أجل حرِّيتها واستقلالها وتقدُّمِها، وبدأت علاقته بـ«إيسكرا».. يقول في كتابه «والآن أتكلم» ص ٥١:

«وبطبيعة الحال لست أذكر التفاصيل، لكنِّي حضرت اجتماعًا لخليةٍ شيوعيةٍ في منزلٍ في حيِّ السكاكيني، أظن أنه في شارع الشيخ قمر. لكن هذا التلامس المتعجِّل مع «إيسكرا» لم يمضِ بلا أثر؛ ففي الاجتماعات القليلة التي حضرتها مع «الخلية» تعلمت – ولأول مرة في حياتي – ما يمكن تسميته القراءة المنهجية والمدققة، كنت أتسلَّم منهم أحد الكتب الماركسية، ويطلب مني قراءةً متأنيةً ثم تلخيصه، ثم عرضه ومناقشته في الخلية، وهكذا تحوَّل الفهم المتعجِّل للاشتراكية إلى فهمٍ أكثر تدقيقًا، أو ما يمكن تسميته بالإدراك الواعي للاشتراكية، وقد أثَّر فيَّ هذا الأسلوب في الدراسة تأثيرًا كبيرًا، ومن خلاله انطلقت إلى فهمٍ رحبٍ للاشتراكية، ولم أزل – وحتى الآن – أذكر سعادتي وأنا أستشعر استيعابي الواعي لأول كتابٍ تسلمته خلال عضويتي في الخلية وهو (الاشتراكية – أين ولماذا وكيف؟)».

الضباط الأحرار:

انضمَّ خالد محيي الدين لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٤٤م، وكان انضمامه ضمن خلية جمال عبد الناصر، ووضع خطةَ التحرك ليلة ٢٣ يولية ١٩٥٢م؛ حيث كان يرأس عملياتِ الضباط الأحرار، وكان المشرف العامَّ على تحركاتِ الوحداتِ في تلك الليلة، وقاد

عملية محاصرة القصور الملكية في الإسكندرية؛ فكان رئيس عمليات القوات التي تحركتْ إلى الإسكندرية لعزل الملك فاروق.

ثورة يولية:

كان خالد محيي الدين أحد الضباط الأحرار المصريين الذين نفذوا انقلابًا عسكريًّا ضد الحكم الملكي في ٢٣ يولية ١٩٥٢م، وعرف في البداية بالحركة المباركة، ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يولية، بعد حرب ١٩٤٨م وضياع فلسطين.

ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب، وفي ٢٣ يولية ١٩٥٢م قام التنظيم بانقلابٍ مسلحٍ نجح في السيطرة على الأمور، والسيطرة على المرافق الحيوية في البلاد، وأذيع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات، وأجبرت الحركةُ الملك على التنازل عن العرش لوليِّ عهده الأمير أحمد فؤاد، ومغادرة البلاد في ٢٦ يولية ١٩٥٢م.

وشُكِّل مجلس وصاية على العرش، ولكن إدارة الأمور كانت في يد مجلس قيادة الثورة المشكَّل من ١٣ ضابطًا برئاسة محمد نجيب، كانوا هم قادةَ تنظيم الضباط الأحرار، ثُمَّ أُلغيت الملكية وأعلنت

الجمهورية في ١٨ يونية ١٩٥٣م، وقامت الثورة على مبادئ ستةٍ، كانت هي عماد سياسة الثورة، وهي:

١- القضاء على الإقطاع.

٢- القضاء على الاستعمار وأعوانه.

٣- القضاء على سيطرة رأس المال.

٤- إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

٥- إقامة جيش وطني قوي.

٦- إقامة عدالة اجتماعية.

ظاهريًّا كان قائد الحركة التي سميت فيما بعد بالثورة هو اللواء محمد نجيب، ولكن صراعًا على السلطة نشأ بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، استطاع جمال أن يحسمه إلى صفِّه في النهاية، وحدَّد إقامة محمد نجيب في قصر زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا بضاحية المرج شرق القاهرة لحين وفاته.

تولى جمال عبد الناصر بعد ذلك حكم مصر من ١٩٥٤م حتى وفاته عام ١٩٧٠م، واستمدَّ شرعية حكمه من ثورة يولية.

أعضاء مجلس قيادة الثورة:

- اللواء محمد نجيب.
- البكباشي جمال عبد الناصر.
- أنور السادات.
- عبد الحكيم عامر.
- يوسف صديق.
- حسين الشافعي.
- صلاح سالم.
- جمال سالم.
- خالد محيي الدين.
- زكريا محيي الدين (ابن عم خالد محيي الدين).
- كمال الدين حسين.
- عبد اللطيف البغدادي.
- عبد المنعم أمين.
- حسن إبراهيم.

خلافه مع عبد الناصر:

وصفه جمال عبد الناصر بالصاغ الأحمر في إشارةٍ إلى توجهاتِ محيي الدين الماركسية، وحينما دعا الصاغُ خالد محيي الدين رفاقَه في مارس ١٩٥٤م إلى العودة لثكناتهم العسكرية؛ لإفساح مجالٍ لإرساء قواعدِ حكمٍ ديمقراطيٍّ، نشب خلاف بينه وبين جمال عبد الناصر ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة، استقال على إثره من المجلس، وآثر - ربما تحت ضغوطٍ من جمال عبد الناصر - الابتعاد إلى سويسرَا لبعض الوقت.

عودته إلى مصر:

عاد ليفوز في انتخاباتِ مجلس الأمة (مجلس الشعب) عن دائرة كفر شكر عام ١٩٥٧م، وقد أسَّس أول جريدةٍ مسائيَّةٍ في عهد الثورة، وهي جريدة المساء، وكان أول رئيس للَّجنة الخاصة التي شكلها مجلس الأمة في بداية الستينيات لحلِّ مشكلات أهالي النوبة أثناء التهجير، وتولَّى رئاسة مجلس إدارة وتحرير دار أخبار اليوم خلال عامي ١٩٦٤م و١٩٦٥م.

علاقته بالرئيسين السادات ومبارك:

كان كلٌّ من خالد محيي الدين وأنور السادات من الضباط الأحرار، كما أنهما كانا ضمن أعضاء مجلس قيادة الثورة، لكن

توجهاتها الفكرية كانت مختلفة، ومع وصول الرئيس السادات للسلطة، أصبح هناك بون وخلاف بينه وبين كثير من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وخصوصًا عندما حوَّل دفة السياسة والاقتصاد من المعسكر الاشتراكي إلى معسكر الغرب، وكان خالد محيي الدين من المعارضين لتوجهات الرئيس السادات الجديدة.

اتهمه الرئيس السادات بالعمالة لموسكو، وهي تهمةٌ كانت توجَّه لعديدٍ من اليساريين العرب في حقبتي السبعينيات والثمانينيات، وفي السنوات التي سبقت اعتزاله السياسي أبى المشاركة في انتخاباتٍ رئاسيةٍ مزمعةٍ في مصر؛ لأنه – وبحسب تصوره الخاص – رأى أنَّ الانتخاباتِ لن تكون نزيهةً، وأن مشاركته ستستخدم لتبرير شرعية الرئيس مبارك.

يرى البعض في تخلِّيه طوعًا عن قيادة حزب التجمع مثالًا للحكومة والمعارضة في أهمية التغيير وتداول السلطة، وكان عضوًا في مجلس الشعب المصري منذ عام ١٩٩٠م حتَّى عام ٢٠٠٥م، حينما خسر أمام مرشَّح الإخوان المسلمين.

نشر مذكراتِه في كتابٍ بعنوان «والآن أتكلم».

خالد محيي الدين في العمل المدني والسياسي:

هو أحد مؤسسي مجلس السلام العالمي، ورئيس منطقة الشرق الأوسط، ورئيس اللجنة المصرية للسلام ونزع السلاح، وقام بتأسيس حزب التجمع العربي الوحدوي في ١٠ من إبريل ١٩٧٦م، وقد حصل على العديد من الأوسمة والنياشين؛ منها جائزة لينين للسلام، والتي حصل عليها عام ١٩٧٠م، وأصبح عضوًا في مجلس الشعب المصري منذ عام ١٩٩٠م حتى عام ٢٠٠٥م.

نص
الشهادة والحوار

شاهدنا على العصر أحد الضباط الأحرار وأحد رجال مجلس قيادة الثورة الذين قادوا مصر في لحظة حرجة للغاية، وتركوا بصمة قوية على صفحة تاريخها في العقود الخمسة الماضية، ولا يزال يعطي وطنه، ويدور في أرضها وفي أروقة سياستها كشاب في الثلاثين، له أفكاره الخاصة، وتحليلاته الخاصة التي قد تبدو للبعض تغريدًا خارج السرب.. آمن بالاشتراكية كفكرة اقتصادية تستطيع أن تحل معضلات المجتمع، وله رؤية خاصة في علاقة الفكر الاشتراكي والشيوعي بالإسلام، وهو مؤسس حزب التجمع وقائده، هو السيد خالد محيي الدين[1].

المشكلات تحلها الشعوب

☜ **بداية، كيف تصف عصرنا الذي نعيشه؟**

- هو عصر الذرة والفضاء والعلم والتكنولوجيا، وارتباط الديمقراطية الاجتماعية بالسياسة، وحِدَّة الصراع، بعكس تصور بعض الناس، كما أنه أيضًا عصر الجموع والشعوب، ولن تحل مشكلة بغير هذه الشعوب.

---

(١) أجري هذا الحوار في إبريل ١٩٨٦.

ضعف مصر سبب ضعف العرب

☜ **من أهم ملامح ثورة يولية توجهها العربي؛ فما رؤيتك للواقع العربي؟ وما شهادتك على العالم العربي الآن؟**

- العالم العربي ضعُف عندما ضعفت مصر؛ لأنها له بمثابة الأم، وعندما تتقلد الأمور فيها حكومة قوية تمكنها من الزعامة، كما غنى عبد الحليم حافظ:

زعيمِك خلاكِ زعيمة

وهذه حقيقة؛ لأن دور عبد الناصر التاريخي وقيادته أضافا لبعد مصر القيادي بعدًا جديدًا، ونحن مؤمنون بأن مصالح مصر مرتبطة بالعالم العربي، ولا تَعارض في ذلك، أما الآن فمصر بعيدة وإرادتها ليست كاملة، وبالتالي العالم العربي ضعيف أيضًا وواقعه ضعيف؛ لكنني أختلف أيضًا مع التفسير الرسمي المصري، وهو أن العالم العربي متخاذل، وكأنه تبرير لأن تفعل مصر ما تريد، وأنا غير موافق على هذا؛ لأنني أرى أن ضعف مصر هو أحد الأسباب الرئيسية لضعف العالم العربي.

والأمر الثاني: أن العالم العربي ليس متفرقًا، ولكنه متخاصم، ورغم كل خلافاته فإنه قد توحَّد في قرارات فاس، وهذا حدٌّ أدنى فلنبدأ منه، كما أنه موقفٌ موحَّدٌ للجميع، والتساؤل هنا: إذا بدأت من فاس؛ فكيف أجمع هذه القوى؟!

أنا مندهش من وقوف سوريا وليبيا ضد العراق[1]، ولا ينبغي أن يؤدي انقسام العالم العربي وتحاربه إلى الابتعاد عن الوحدة العربية، ويجب السعي إلى توحيده، ولا يوحده إلا قوة مؤثرة على كل الأطراف، وفي رأيي أن مصر القوية والمستقلة إرادةً وقوةً، هي القادرة على فعل ذلك.

والحل أن تكون مصر دولةً وطنيةً وديمقراطيةً ومستقلةً وغير منحازة، ومنها سيمتد التأثير إلى العالم العربي، وأعتقد أنه شيءٌ واضحٌ وأن هذا التصور هو الذي سيعيد للوطن العربي مجده وقوته.

سر جمود الحركة الإسلامية

سؤال مهم أتعجل في طرحه: هل تعتقد أن الإسلام في حدِّ ذاته يقدِّم تصورًا للحياة الاجتماعية وغيرها، وفيه الحل لمشكلات العصر في الدين والدنيا، كما يرى البعض ذلك؟

- لا. أنا أختلف مع هذه النظرة اختلافًا كاملًا، وأعتبر أن هذه النظرة هي سر جمود الحركة الإسلامية في هذا العصر، وأومن أنا وحزب التجمع أن المسلمين وكل معتنقي الأديان، تعود أصول أديانهم إلى جوهرٍ واحد، وهو الإيمان بالله والتوحيد والحياة الآخرة والثواب والعقاب وعمل الخير والفضيلة،

(١) إشارة إلى حرب العراق وإيران في ذلك الوقت.

والخلاف يقع في الشرائع، وشريعة محمد هي آخر الشرائع؛ لأنها أعطتْ للعقل مكانةً كبرى، ومن هنا تأتي قضية الإسلام وارتباطه بالحياة؛ فالإسلام عقيدة وشريعة، كما تربَّى على ذلك الفقهاء والعلماء، عقيدةٌ كدين وشريعة للحكم، وليس دينًا ودولة؛ فالدولة مصطلح محدث، ولم ينصَّ القرآن على «الدولة»، مع أنه واضحٌ في كل شيء وليس مبهمًا، وخاطب النبيَّ بلفظ «الرسول»، وليس بلفظ «المالك»؛ فالإسلام عقيدة وشريعة فقط يلتزم بها المسلمون.

ويستطيع المسلمون بفهمهم للقرآن والسنة أن يقيموا لأنفسهم نظامًا متكاملًا؛ لأن القرآن والسنة أتيا بمبادئ عامة؛ فالشورى – على سبيل المثال – مبدأ جاء به الإسلام، لكنه لم يحدِّد شكل الشورى، ولا طريقة انتخاب الرئيس ولا عزله، ولا حدود سلطاته سوى في التزام الرئيس بالشريعة وفقَ ظروف العصر، وأن الرعية أعلم بشؤون دنياهم، وقد تربيت على أن الإسلام قيمة معنوية ضخمة، وأن جوهره الرئيسي هو إتمام مكارم الأخلاق، حتى إن الزكاة في جوهرها قضية خُلقية وليست قضية اقتصادية؛ تعطي معنى التكافل الاجتماعي؛ فالإنسان بفهمه للدين يستطيع أن يبني مع الآخرين نظامًا عادلًا متكاملًا للحياة، ولكن هذا النظام لن تكون له قدسية

القرآن ذاته، ولا يجوز لصاحب هذا النظام - متبعه أو رافع راياته - أن يتصور أن هذا هو الدين، أو أنه ملهم من الله ﷻ، وأنه لا يجوز الاقتراب منه؛ لأنه اقتراب من الدين، ويعطي لنفسه قدسيةً أكبر من قدسية شيءٍ آخر، ولكن المسلمين يستطيعون تغيير تفكيرهم من مكانٍ لمكان ومن عصر لعصر؛ ليختاروا نظامًا يتواءم مع ظروفهم، وأرى أن يقدِّم أصحاب هذا التيار - أيًّا كان - برنامجًا سياسيًّا للقضية الوطنية مستمدًّا من الدين، قابلًا للمناقشة والحذف والإضافة والتعديل، كما أن عليه أن يحترم البرامج المقدمة من القوى السياسية الأخرى، و لا يكون صاحبه متميزًا عن الآخرين؛ فالإنسان المسلم يجب عليه أن يبني فهمه للدين ومبادئه العامة على نظامٍ عادلٍ متكامل، لا يعطي له القداسة؛ لأنه من صنع البشر، ولو كان هناك نظام من صنع الله لما استطاع أحد التدخل فيه، وبذلك نبرِّئ الدين من الدخول في الصراعات السياسية؛ فتفكير المسلمين هو الذي يدخل في الصراع السياسي، والحركة الإسلامية مطالبةٌ بتقديم برنامجٍ سياسيٍّ مكتوب من القرآن والسنة. وأنا أزعم أن برنامج التجمع الذي أقدمه هو الحل الإسلامي الصحيح، أو الحل الديني الصحيح، الذي لا يتعارض مع الأديان أو جوهر الشريعة الإسلامية بحكم كون الشعب مسلمًا، بل يسير معها؛ فمن لديه

اجتهاد أفضل يقدمه، ولا يكتفي برفع راية القرآن والسنة دون أن يقدم تصورًا للقضية الوطنية الحالية والأزمة الاقتصادية والخروج منها وعلاج قضية الإسكان، وأولويات الاقتصاد والتخطيط، وأعني في هذا تصوراتِ المسلمين، وليس التصورات الإسلامية العامة الملزمة. وقد اختلف المسلمون في التاريخ الإسلامي وتحارب علي ومعاوية، وكان كل واحدٍ يرى أنه على صواب، وأنا أقول: إن هذا الخلاف كان خلافًا سياسيًّا، وهذا شيء طبيعي؛ لأن من يرفع راية القرآن والسنة لا يعني أن غيره خرج عن الإسلام، وأنا ملتزمٌ دستورًا بتطبيق الشريعة الإسلامية، ولستُ ضد القرآن والسنة، ولكن فهمي مختلف؛ حيث أرى تطبيق الشريعة الإسلامية في إطار قانونٍ مدنيٍّ يعمَّم على جميع المصريين من مسلمين ومسيحيين؛ كقانون المواريث الذي يطبَّق على جميع المصريين، وهو قانون مدني مصري، وهذا غير بعض القوانين ذات الطبيعة الخاصة؛ كقضايا الزواج والعلاقة الشخصية؛ ولذلك فقانون الزواج والطلاق قانون مدني. بعض الناس يرى تصورًا آخر؛ فهو له الحق في أن يجتهد، وأن يرى شكل الحكم حسب مبادئه؛ فقد ينحاز لمبدأ تعدد أحزاب وقد يرفض التعددية، والبعض يرى أن الدين ضد تعدد الأحزاب، وهذه وجهة نظر. وهناك آخرون يرون الديمقراطية ومجلس النواب

وغيرها من آليات الديمقراطية من الدين؛ كخالد محمد خالد مثلًا؛ والذي يحدد هو البرنامج الذي يكتبه صاحب هذا التصور أو ذاك، وليس مجرد رفع الراية؛ بل ينبغي بذل الجهد والعمل؛ لأن مجرد الحكم بالشريعة لا يعني نزول الحلول علينا من السماء، وأن تخضرَّ الأرض ويعمَّ الخير[1]، بدليل أن المسلمين كانوا يحكمون بالشريعة، وكانت لديهم مشكلات فقر وغنى وحروب وانتصارات وهزائم؛ فالمسألة عقلانية لا داعي فيها للتستر وراء هذا الشعار، ومنع الآخرين من المناقشة؛ فليضعوا برنامجًا ونناقشه، ولا يخيفني أن تكون مرجعيتك القرآن والسنة؛ لأنني أيضًا لست ضد القرآن والسنة، فعليهم أن يتقدموا ببرامج، وهذه البرامج ستكون قابلةً للتنقيح والإضافة والحذف؛ لأنها من صنع البشر.

ألا ترى أن القوى الإسلامية أو الحركة الإسلامية – كما أطلقت عليها – تقدمتْ بتصوراتٍ في برامجها تتوافق مع ما تطالبها به؟

– لا. وقد دخلنا معارك من أجل «كامب ديفيد» وأزماتٍ أخرى ضد أمريكا، لم نجدهم معنا، ولا في قضايا وأزماتِ الاقتصاد المصري.

---

(١) هذا الرأي خاص بالسيد الأستاذ خالد محيي الدين، وقد خالفه الكثير من علماء الدين والسياسة والاقتصاد في ذلك الرأي.

هل تتابع وسائل إعلامهم في هذا الإطار؟

- أتابع وسائل إعلامهم؛ ولا أجد أحدًا يقدم برنامجًا سياسيًّا متكاملًا، ولو قدم أحدهم برنامجًا سياسيًّا متكاملًا لفرض نفسه على الساحة السياسية.

ألا ينبغي أن يكون لصاحب هذا التصورِ حزبٌ يقدم من خلاله برنامجه؟

- لو وضع برنامجًا لنفسه وطرح وجهات نظره؛ فسيلتف حوله الناس، وسيكون حزبًا، وعليه أن يكون موجودًا وله حضور عند مناقشة هذه القضايا، أما أن يكتفي بالقول: أنا أمثِّل جماعة الإخوان المسلمين أو غيرها؛ ثم يطرح رأيه ويقول إن هناك ما يتعارض مع الدين. فهذا لا يجدي، فالسياسي ملتزم بطرح آرائه في القضايا العامة كالتعليم وغيرها، وللناس أن تقبلها أو ترفضها؛ فالذي يقول: الحكم بالإسلام، هو رجل سياسة، وليس رجل دين. فهو كأيِّ أحدٍ آخر يطرح رؤيةً سياسية؛ لأن من يحكم لا يعارض الحكم بالإسلام، ولكنه يفهم الإسلام فهمًا مختلفًا عن الآخرين، وهذا الاختلاف

موجودٌ داخل التيارات الإسلامية نفسها؛ وهناك توجهات ومدارس مختلفة داخلها؛ فما بالك بالتيارات الإسلامية التي تنادي بحكم ديمقراطيٍّ اشتراكيٍّ يلتزم بمبادئ الإسلام مثلنا مثلًا، والساحة مفتوحة، ولن يصحَّ في النهاية إلا الصحيح.

المد الاشتراكي يتزايد

هل تتفق مع القائلين بتراجع المد الاشتراكي على مستوى العالم بعد انتخابات فرنسا، وما حدث في الصين وبعض البلدان الأخرى، وغير ذلك من أحداث هذا العصر؟

- المد الاشتراكي في العالم يأخذ شكليْن؛ أولًا: ازدياد عدد الدول الاشتراكية، وواضح أنها لا تقل، ولو أخذنا مثالًا من حقبة زمنية، من ١٩٧٥م وحتى ١٩٨٥م من بلدان إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، فأنا أزعم أن العدد يتزايد؛ والدول الصامدة والقوية والمستقلة في العالم الثالث - بصرف النظر عن عيوبها - هي الدول التي تنحو منحًى اشتراكيًّا، وهي القادرة إلى حدٍّ ما على بناء سياساتٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ للتطور، في أمريكا وفي أسيا.

في أوربا، كان الحزب الاشتراكي الفرنسي موجودًا في إطار النظام الرأسمالي واعتُبر يسارًا، وهو ليس اشتراكيًّا بالمعنى الذي أفهمه، وكما أنه ليس كل المنادين بالحكم الإسلامي ناجحين؛ فإن هناك نماذجَ اشتراكيةً فشلتْ ولم تنجح؛ لأنها لم تخدم الناس وأتعبتها وأرهقت شعوبها ولم تفهمهم، في بولندا مثلًا؛ الحزب الشيوعي الحاكم وجبهته ارتكبا أخطاءً جعلت الطبقة العاملة تثور عليهما؛ فأن تحكم حكمًا اشتراكيًّا لا يعني أبدًا أنه كلمة مرور لأن تنجح؛ فالصواب أن تجتهد وتدرس المجتمع جيِّدًا، وتقدِّم الاقتصاد، وتجعل حياة الناس أفضل. وأنا لا أعتبر هزيمة الاشتراكيين في فرنسا كارثةً؛ لأنهم نجحوا في اليونان مرتيْن، وقد فاز رئيس جمهورية البرتغال الاشتراكي على منافسه اليميني.

احذروا من الرأسمالية!

ومـاذا عـن الـذي حـدث في الـصين مـن تعـديلاتٍ عـلى النظام الاشتراكي؟

- لقد أغلق ماو تسي تونج على نفسه وعلى الصين الأبواب، واعتبر كل فكرٍ قديم كفرًا؛ وحتى التماثيل القديمة أيضًا؛ وكان هذا سرَّ ضعفِه؛ لأن أية حركة جديدة تحمل القديم والجديد معًا؛ فإذا تخلتْ عن القديم أضعفتْ نفسها؛ فجاء خليفته

دين هسياو بينج الملقب بـ«ملك الانفتاح»؛ ليجري انفتاحًا وتطويرًا للوصول إلى حياةٍ أفضل للمواطنين. وقد قرأت خطبة هسياو بينج، وقد جاء فيها على لسانه: «احذروا من الرأسمالية»، مشيرًا بذلك إلى أن الانفتاح سوف يأتي بقيمٍ وأفكارٍ جديدةٍ يجب مقاومتها، يعني علينا استيراد آليات الإنتاج والآلات الحديثة، مع الحذر من أمراض الرأسمالية «عدوِّنا اللدود»، وهذا يعني أن الرجل متمسك بالاشتراكية؛ ولا يعني تعديلًا، وإنما تطويرًا إلى الأفضل. وما حدث في الثورة الثقافية أيام ماو تسي تونج لم يكن شيئًا جوهريًّا في مسيرة الاشتراكية، والاتحاد السوفييتي نفسه كان معاديًا لها، والحياة عمومًا تقاس بفترات زمنية من ١٥ إلى ٢٠ عامًا، وإذا لم تتقدم الاشتراكية؛ فهذا عيب في الاشتراكيين أنفسهم؛ إما لأنهم لم ينجحوا في إفهام الاشتراكية للناس، وإما لاتباعهم أساليب خاطئةً تنفِّر الناس منها، وهم في النهاية يدافعون عن حقوق الناس. ونحن نعلم أننا نعيش في ظروفٍ استثنائيةٍ من سباق التسلح، والاستعداد للحرب.

وهذا يفرض صورة قد يراها البعض غير جميلةٍ للعالم الاشتراكيِّ، وهذا ربما يعود في الأساس إلى أن العالم الرأسمالي متقدمٌ ماديًّا وروحيًّا

على العالم الاشتراكي، وهذا يتطلب لحاق الأخير بالأول ومنافسته تكنولوجيًّا وعلميًّا كقضية أولى، وتأتي بقية القضايا بعد ذلك.

العالم الرأسمالي متقدم، ولديه ميزة استثمار أمواله خارج أراضيه؛ كاستثمارات الولايات المتحدة، وهذه تدرُّ أرباحًا تعادل ٣٥ أو ٤٠ ٪ من مجموع أرباح الولايات المتحدة داخل أراضيها، وهي موارد ضخمة. أما العالم الاشتراكي فليست لديه هذه القدرة؛ لأنه لا يستثمر أموالًا بالخارج، ولا تعتبر أموال الخارج موردًا أساسيًّا من موارد الدول الاشتراكية، بل تعتمد على عمل أبنائها، عكس الدول الغربية التي تعتمد على عمل الآخرين واستغلالهم.

فالتسلح مثلًا يحل مشكلاتِ أرباح المجمع الصناعي والعسكري في أمريكا، ولكنه يمثل عبئًا على اقتصاديات الدول الاشتراكية، ومن هنا تنبع شدة حماس الدول الاشتراكية للسلام، وتشجيعها لوقف سباق التسلح؛ لأنه سيأتي لصالح توجيه الموارد للبناء السلمي والتنمية والتطور؛ فتزدهر الاشتراكية، وإصرار المجتمع الاشتراكي العالمي على وقف سباق التسلح ممثلًا في الاتحاد السوفييتي وتدمير الأسلحة، وأن يتم ذلك تحت رقابة دولية فعالة؛ إنه يطالب برقابةٍ على نزع السلاح وتدمير الأسلحة الفتاكة، وليس برقابةٍ على التسلح كما تطالب الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا يظهر أن الاشتراكية لا تريد

حربًا، ونحن بذلك نعيش في ظروفٍ استثنائية، وإن كنا لا ننفي أن عددًا من الدول الاشتراكية ارتكبت العديد من الأخطاء في التطبيق، ولعل مؤتمر الحزب الشيوعي السوفييتي الأخير كان مذهلًا من كثرة الانتقادات التي وجهت للممارسة السياسية. والتغطية الشاملة للأخطاء فتحت الطريق للديمقراطية في الدول الاشتراكية، وأنا شخصيًّا أرى أن المعيار والمدى الأطول هو الأصلح للحكم على الاشتراكية؛ فمنذ خمس سنواتٍ كان الحزب الاشتراكي الفرنسي ناجحًا، ثم عاد وسقط بعدها، ونعود لنقول: إنهم نجحوا في اليونان، ثم عادوا ونجحوا مرة ثانيةً، وفي البرتغال أيضًا كانت تشكل البرلمان أغلبية يمينية، وفي الانتخابات الرئاسية نجح المرشح الاشتراكي، وهناك أمثلةٌ على نجاح الحكومات الاشتراكية في العالم؛ في تنزانيا ومدغشقر وغيرها، ولا أرى تراجعًا نحو التوجه الاشتراكي في العالم الثالث، بل هناك تراجع عن الحكم الدكتاتوري اليميني وتقدمٌ نحو الديمقراطية، وأمريكا الوسطى فيها نمو للحركة الثورية، ونيكاراجوا مثلًا أصبحت دولة في طريقها نحو التطور والتقدم الاشتراكي.

والمقاومة الشعبية ضرورية لإجراء تعديلاتٍ في الأنظمة الاجتماعية القائمة، وقد تكون شكليةً، ولكنها بداية على الطريق، ونجاح المد الاشتراكي لا يعني سيطرة الاشتراكيين على الحكم، بل

نعتبر نجاح حكم الشعوب نجاحًا للاشتراكية، وإذا نجحت الشعوب ديمقراطيًّا ووطنيًّا؛ فالمد النهائي سيكون لصالح الاشتراكية، ويستحيل أن ينهزم المد الاشتراكي وهو يحقق العدالة للشعوب، وأنا لا أفهم كيف يكون الإنسان غير اشتراكيٍّ، وإذا لم يكن اشتراكيًّا؛ فماذا سيكون؟ هل سيكون مع الرأسمالية الطفيلية، وسوء توزيع الثروة والهيمنة الغربية الأمريكية والأوربية على اقتصاديات العالم؟!

ومن هنا أرى أن الفكر الاشتراكي يتدعم ويتعمق، وإن حدثت له بعض التراجعات في فتراتٍ ما، لكنه على المدى البعيد سائر إلى الأمام، وهو اليوم يغزو معاقل الطبقة الوسطى وليس الطبقات العمالية فقط؛ لأن الطبقة الوسطى في العالم كله تفتقر بفعل سباق التسلح الرهيب والتضخم وغير ذلك، ولم تعد تتمتع بميزاتها القديمة، ومن هنا تجتذبها الأفكار الاشتراكية، وإن لم يكن بشكلٍ كامل، ولكن مجرد اقترابها من الأفكار الاشتراكية هو في حدِّ ذاته تقدُّم وليس هزيمة.

الانضمام العلني لحزب التجمع.. أمر نادر

- أظهرت دراسة بمجلة (الطليعة) أن متوسط ما ينتظم في عضوية الأحزاب والتنظيمات السياسية والنقابية، بما في ذلك الأحزاب

الحاكمة في الوطن العربي يتراوح بين ١٪ و٣٪ من كتلة الجماهير، وأن كوادر تلح بشكل متزايد في هذه المرحلة على أن تنظيماتها باتت تعاني مرض كمون العضوية، وانحصار تأثيرها في المجتمع، وافتقاد مصداقية برامجها وشعاراتها، حتى إنها فوجئت عند اشتراكها في انتخابات عامة أن الجماهير لم تسمع عنها من قبل؛ فإلى أي حدٍّ ينطبق هذا التحليل على حزب التجمع؟

- الأمور لم تصل إلى هذه الدرجة، لكن هناك حقيقة، وهي: أن السلطة قوة رئيسية في مصر، ومع وجود الحكم المحلي وتشابك مصالح الناس مع رؤساء المجالس المحلية ومجالس المدن والمحافظين؛ فليس لدى الناس الاستعداد للتضحية بهذه المصالح إلا في المدن الكبرى، للدفاع عن مصالح حزب معين أو وجهة نظره؛ وهناك تعددية حزبية لم تكن موجودة قبل ذلك، وقد رُشح أحد أعضاء حزب التجمع ليكون وكيلًا لإحدى الكليات، ورغم أن لنا نفوذًا واسعًا اعترض رئيس الوزراء، وأصر على أن يكون وكيل الكلية من الحزب الوطني.

ولا تُعطَى شقة جديدة لعضوٍ في حزب التجمع، وهي كلها أشياء تجعل الانضمام العلني للحزب أمرًا نادرًا، والمُناخ السائد حتَّى هذه اللحظة هو مناخ الحزب الواحد، أردنا أو لم نرد، ومن يقفْ معنا

يقفْ بقلبه ويساعدنا، لكنه لا يعلن عن ذلك حتى لا تضارَّ مصالحه، ومن هنا ظهر مصطلح كمون العضوية، وهذه قضية أساسية، ولذلك حين نتكلم عن الديمقراطية لا نتكلم عن حرية الصحافة والأحزاب فقط، بل حرية الانضمام للنقابات والمحليات، وإذا انضمَّ أحد أعضاء حزبٍ معارضٍ إلى نقابة؛ فإن الجمعية العمومية تجتمع وتقوم بفصله؛ لأن الحزب الحاكم له أغلبية، والمدعي الاشتراكيُّ يعترض عليك، وقد فُصِل عُضوان نقابيَّان من حزب التجمع، وهو ما لا يحدث في بلد في العالم؛ فرفعا دعوى في مجلس الدولة، وتم إعادتهما إلى عملهما مرةً أخرى بالقوة.

وقبل أن نتحدث عن الكمون وبرامج الأحزاب المعارضة ومجهولية الأحزاب، يجب أن نقرَّ بأن المناخ السائد هو مناخ الحزب الواحد المهيمن على كل الأمور، والتعددية شيء موجود، لكنه لم يأخذ حظه الحقيقي في الإدارة المدنية، بل كلها تابعة للحزب الحاكم، وما لم يحدث انفصال بين الحزب الحاكم والإدارة المدنية الحاكمة سيظل الوضع الديمقراطي مهلهلًا، وستواجه مصر أزماتٍ؛ لأن غياب الديمقراطية يفرض سياسات الفئة الحاكمة على الشعب، وتحدث بذلك أزمة، وإخراج مصر من الأزمة الاقتصادية كامن في تعديل أوضاع الديمقراطية.

حزب التجمع عمره في هذه اللحظة عشر سنوات، ولا يعقل أن يكون عمر الحزب عشر سنوات، ويصبح قويًّا في كل قرية ومدينة ومحافظة؛ فكيف تطلب منه أن يدخل على مستوى الجمهورية ويحصل على ٨ ٪، من الممكن أن أكون قويًّا في دائرة وضعيفًا في أخرى، والإمكانيات المادية والمالية والمقرَّات ضعيفة ومعروفة؛ فالديمقراطية لم تأخذ مداها الحقيقي، والأستاذ هيكل أشار إلى انعدام إمكانية الحكم على قوة أي حزب. وحزب التجمع عندما ينظر لنفسه بعد عشر سنواتٍ من التجربة سيجدها أقوى.

☜ هل جريدة الأهالي الناطقة باسم الحزب أعلى صوتًا من الحزب؟

- جريدة الأهالي يقرؤها المواطنون العاديون؛ فهي تتسع لدائرةٍ أكبرَ من القراء، أما البيانات الخاصة بالحزب فهي توزع على الأعضاء فقط.

مقارنة بين الصحف القومية والحزبية

☜ كنتَ رئيسًا لمجلس إدارة أخبار اليوم والمساء؛ فإذا أجريت مقارنةً سريعة، وحكمت من واقع التجربة على الصحافة المصرية، أو ما تطلقون عليها الصحافة القومية، فماذا تقول؟

- الصحافة القومية اتسع توزيعها، ولكننا لا نستطيع القول: إن تأثيرها أصبح قويًّا؛ بدليل أن هناك فزعًا دائمًا مما تكتبه الصحف، ونشعر من المسؤولين أن ما تكتبه الصحافة الحزبية يثير قلقهم، ولو أن توزيعها أقل، ولكن هناك شعورًا عامًّا بأن الرجل العادي يتأثر بكلام المعارضة أكثر من كلام الصحف القومية.

الصحف القومية تتطور مهنيًّا، وتقدم خدماتٍ كثيرة، ولكن صحف المعارضة بقيت الأعلى تأثيرًا؛ لأنها تعبِّر عن وجهة النظر المألوفة.

هل تدفع تهمة الإثارة عن صحف المعارضة؟

- الإثارة عملٌ ديمقراطي؛ فأنا أثير الناس بغرض تحريكهم.

الحركة محفوفة بالمخاطر؛ ألا ترى ذلك؟

- السياسة حركة، ونحن ندعو الناس إلى الحركة، وإلى تبني قضايا، وهذه وجهة نظر جيدة، والإثارة عمومًا عمل ديمقراطي بحتٌ، وتكون غير مرغوبة إذا كانت على غير أساسٍ؛ فإذا ارتفعت الأسعار وأثرت الناس ضد ذلك؛ فأنا أثيرهم ضد شيءٍ حقيقيٍّ، والمبررات ليست قضيتي، والحكومة حين تتكلم عن رفع المعاناة عن الطبقات الفقيرة، ويرى الناس العكس؛ فهناك - إذن - سياسة مبيتةٌ لزيادة المعاناة وليس

لرفعها؛ فإذا دحضتُ هذه السياسات ورفضتُها وكذَّبتُها؛ فأنا أثير الناس ضدها، وإلا فما فائدة السياسة؟!

ولكن السؤال: كيف نحرِّك الناس؟ نحن نطالب بتحريك الناس بالطرق المشروعة، وما زلنا نطلب الكتابة والعرائض والاجتماعات، وأن يكون الإضراب والتظاهر السلميان حقَّين مشروعين منظَّمين، بمعنى إخطار البوليس قبل المظاهرة، وهذا لو حدث لن يكن هناك خوف من اضطرابات كالتي حدثت في يناير ١٩٧٧م.

ومن هنا نطالب بالوسائل المشروعة للتعبير عن الرؤى التي تمارس في العالم المتقدم، ولا يجب اعتبار الشعب المصري أقل من غيره، بل هو جدير بالديمقراطية، ولا يجب الكلام إطلاقًا عن اندساس عناصر مثيرة للشغب داخل صفوف العمال والطلبة، الشعب المصري جدير بالديمقراطية، وإثارة الناس بالطرق المشروعة مطلب للأحزاب جميعًا، ولكن هناك خوفًا حكوميًّا من الشعب، وهذا الخوف لا داعي له؛ لأننا حريصون على المصلحة العليا للبلاد. أما بالنسبة للجزء الخاص بأخبار اليوم في سؤالك، فالأخبار مؤسسةٌ كبيرة، كانت فيها تجربتي الأولى، وقد تعلمت الصحافة فيها، وتعلمت كتابة المقالات السريعة ومعنى التنظيم الصحفي والمواعيد.

وقد أفادت صحيفة (المساء) الصحافة المصرية بالكثير؛ من رياضةٍ وحوادث ومقالة الصفحة الخامسة وغيرها، وقد حاولت أن أعطي أخبار اليوم مضمون عصر عبد الناصر وسياسته الاشتراكية، ولكنني لم أغيِّر شيئًا فيها، وليس لي فضل عليها في شيء؛ لأنها مدرسةٌ ذات طبيعةٍ خاصة.

علاقة خالد محيي الدين بإقالة مصطفى أمين

أنت عاصرت قضية مصطفى أمين أثناء وجودك في أخبار اليوم. ما شهادتك على هذه القضية بعد هذا التاريخ؟

- أنا كنت رئيسًا لمجلس الإدارة، وهو كان رئيس التحرير، وخروجه كان لأسبابٍ أخرى بعيدة عني تمامًا، والموضوع كله بعيدٌ عني، ولا أعرف عنه شيئًا لا من قريب ولا من بعيد.

يقول الأستاذ السيد ياسين - مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية - في مبحث له: إن صراع القيم السائد في مصر الآن مصدره الصراع بين الاشتراكية والليبرالية والإسلامية، وإن القضية الحقيقية لا تكمن في سياسة الانفتاح وعلاقتها بتحقيق المشروع الحضاري المصري بقدر ما تكمن

في ضرورة المزج بين الاشتراكية والليبرالية والإسلامية في جوانبها الإيجابية، أو بمعنى آخر: التوصل إلى تركيبة تجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ أي بين التراث والديمقراطية والعدالة الاجتماعية؛ فما رأيك؟

- هذا صحيح، وبرنامج التجمع في نظري هو الرد العملي على ذلك؛ لأنه برنامج اشتراكي متمسك بالليبرالية السياسية، ومتمسك بالأصالة والتراث القومي والديني، وخلافي حتى الآن مع التيارات الإسلامية؛ لأنها لم تضع برنامجًا سياسيًّا كفكرة تطبيق الشريعة الإسلامية التي تحدثت عنها سلفًا، وما يرتبط بها من كلامٍ عن حلِّ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، والاكتفاء بكلام عامٍّ أمرٌ غير مجدٍ.

نحن أمام مشروع بناءٍ سياسيٍّ للمجتمع، برنامج التجمع هو الرد الحقيقي المستمد من تراثنا القومي لحل المشكلة، ومن لديه برنامج آخر فليقترحه عليَّ.

وحتى الآن لم يقترح أحد شيئًا، وليس هناك حلول لمشكلات التعليم والاقتصاد والإسكان، ومواجهة إسرائيل، وعدم الانحياز وكيفية فهمه، وأتحدى أن يكون السيد ياسين قرأ برنامج التجمع!

المجتمع يستمد عدالته من الإسلام

الأستاذ السيد ياسين أكد على الخط الذي انتهجته في البداية؛ وهو أن العلاقة بين العدالة الاجتماعية والديمقراطية علاقة وطيدة وثيقة.

- نعم، فالمجتمع يستمد قيمه في العدالة الاجتماعية من الإسلام والأديان، وهذه حقيقة، وهناك تصور من عدالتنا يبيِّن حفظ حقوق الجار والأسرة والسلوكيات، وهذه قضية مهمة جدًّا؛ فلا نستطيع أن نفرض قيم العدالة بعيدًا عن القيم الدينية والتراث القومي والتقاليد؛ فلنفعل هذا ولا نكتفي بالكلام، كما فعلت أنا في برنامج التجمع.

ما شهادتك على الإنسان المصري بصفته سيكون المشارك الأول، والمنافس الأول في أية سياسة إصلاحية مطلوبة للمرحلة الحالية للخروج من الأزمات؟

- الإنسان المصري له قدرة على المقاومة والصمود، ولا نقلِّل من قدراته هذه، والدليل على هذا أن بعض الناس تصوروا أن الأمور استتبتْ، ولكن الإنسان المصري خرج في أحداث ١٩٧٧م و١٩٨١م، ورفض ما يتم، كما يتضح رفضه في مظاهر

أخرى كثيرة، وكونه يسكت لا يعني قبوله لما يحدث، وله طريقة في المقاومة قد تكون غير مباشرة، فالشعب المصري متمسكٌ بقيمه ويفهم الحقيقة جيدًا، ومن الصعب جدًّا خداعه، وما لم نكن صادقين مع الشعب في الإصلاح فلن يستجيب لنا.

وماذا عن بعض السلبياتِ التي ظهرت فيه؟

- السلبيات جزءٌ رئيسي من حياة الإنسان، وجميع شعوب العالم تعانيها؛ ولا يجوز تمييز الشعب المصري في هذا الإطار عن غيره، وإذا لم تظهر له سلبيات بعد كل ما مر به؛ فهو غير طبيعي؛ بدليل أنه عندما يجد توجهًا للمقاومة والإصلاح والعدالة فإنه يتجه إليها فورًا، والدليل على ذلك أنه عندما عرضت الدراما واقعهم التفوا حولها مثلما حدث مع مسلسل «رحلة أبو العلا البشري» و«الحياة مرة أخرى» فالناس تلتف حول التلفزيون؛ لأنه يعالج قضيةً صادقةً، والمجتمع يستجيب.

يقول المحللون السياسيون: إن الفترة التي أغفلت فيها الثورة قضية الديمقراطية فترة ليست بالقصيرة، أفقدت الإنسان المصري إيجابيته في هذه الفترة، وعودته على السلبية، والاعتماد على الدولة والنظام في كل شيء؛ ففقد روح المبادرة والانتماء. ما تعليقك؟

- مسألة الديمقراطية والخوف من الحاكم قديمة وموجودة قبل الثورة، ولكنها كانت تمسُّ فئاتٍ معينة؛ فقبل الثورة كانت الطبقات الكبرى لديها حرية، والطبقات الأقل كانت تعاني القمع، ولكن جموع الشعب في عصر الثورة لم تكن تشعر بالقيد؛ بدليل ازدهار المسرح والكتابة والأدب في الستينيات.

لم أشعر بإنجازات عبد الناصر إلا بعد وفاته

ومع ذلك عادت ثورة طليعتها من المثقفين في مطلع الستينيات!

- الفئات المثقفة والمتعلمة هم الذين شعروا بقيود الثورة عليهم، أما الجموع فلم تكن تشعر بذلك؛ لأن العمال والفلاحين تحرروا من سلطة شيخ البلد والعمدة والمأمور، وأخذوا حريتهم حسب فهمهم هم للحرية، أما الحاكم وسطوته فهي قضية قديمة، وستظل حتى توجد العدالة الاجتماعية بشكلها الكامل الذي يفتح الطريق نحو الديمقراطية الحقيقية، وهذا كلامٌ مبكرٌ عن موعده، ولا أنكر أن للثورة سلبياتٍ عانيت أنا منها بشكلٍ شخصيٍّ، وهي سلبيات مقارنة بمكتسباتها الضخمة، ولكنني لم أشعر بإنجازات عبد الناصر إلا بعد وفاته، وبعد وفاته نزلت الشارع المصري، وأحسست بجزع المصريين الحقيقي وقلقهم

على مستقبلهم بعد فقد عبد الناصر، وهناك أناسٌ لم يكن لهم علاقة بعبد الناصر، ولكنه كان يمثل الحماية لهم ولحريتهم، ملايين الملايين من الشعب شعرت بذلك.

هل هذه تشبه حالة فقد الأسرة لعائلها فجأة؟

- أكثر من ذلك أنهم كانوا يشعرون بإنجازاته، وفئات كثيرة من الناس كانت تشعر بأن حريتها زادت معه، وحقق لهم ما كانوا يريدونه، ووظيفتي أنا أن أدافع عن هذا التراث وهذه المكتسبات، وقد أيدت عبد الناصر في حياته، ولكنني لم أفهم عمق ارتباط الناس به إلا بعد موته.

وعندما سمعت ونزلت وتكلمت مع الناس أصبح الأمر أكثر تعمقًا لديَّ وفهمًا، لقد كنت أفهم عبد الناصر فهم السياسي العام، ولكن الأمر اختلف بعد موته.

لو لخصت لنا هذه الشهادة في سطرين أو ثلاثة. ماذا تقول؟

- أقول: علينا أن نعيش عصرنا وأن نستفيد بكل إمكاناته العلمية والتكنولوجية والسياسية والديمقراطية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي، دون أن نتنازل عن تراثنا القومي.

لا ينتصر إنسان بمفرده

ما الوصية التي توجهها من خلال شهادتك للإنسان الذي يعيش بيننا؟

- ابحث عن الحقيقة وناضل من أجل حقوقك مع الآخرين، لا ينتصر إنسان بمفرده، ولكن مع الجماعة والقوى السياسية والاجتماعية ومع النقابة، والتزود بالعلم والتمسك بتقاليد التراث القومي، وأنا أرى أن هذا هو الحل.

تديني قضية بيني وبين الله

هل تندهش من استغراب بعض الناس أنك حججت بيت الله الحرام؟

- أنا لم أحجَّ بغرض الدعاية، وتديني هو قضية بيني وبين الله تعالى، ولا تهمني دهشة بعض الناس ولا تعنيني، وبعضهم يرى أنني ما دمت متدينًا فسأكون في السياسة يمينيًّا، وهم يضعون مواصفاتٍ خاصةً للمسلم، ولا يمكن أن يكون يساريًّا، وأنا أرى العكس، وهو أن المسلم من حقِّه أن يتبنَّى في نضاله السياسي أية قضية يراها.

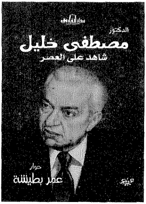
خاتمة

ركَّزت شهادة السيد خالد محيي الدين على عصره حول قضية الديمقراطية، وعلاقة حزب التجمع وبرنامجه بالشارع المصري، وكيف أنه يطالب الحركات الإسلامية وغيرها بتقديم برامج للإصلاح الشامل شبيهة بالبرنامج الذي تقدم به التجمع، وردَّ الرجل على وجهات نظر البعض في حزب التجمع وتوجهاته اليسارية، كما ردَّ على وجهات نظر الآخرين في المد الاشتراكي، وتشكيك الكثيرين في مدى قدرة الاشتراكيين على تطبيق المبادئ الاشتراكية، وقدم رؤيته لجهود الإسلاميين، ونادى بأن تكلل تلك الجهود ببرنامج واضح يؤخذ منه ويرد، ودعا الجميع إلى التعاون للتكامل من أجل مصلحة الوطن، والعبور به إلى بر الأمان، وأكد أن ذلك لن يتم إلا في ظل صورة ديمقراطية وانتخابات حرة نزيهة تكفل للجميع حرية الاعتراض وحرية الترشح وحرية عرض أفكارهم لمساعدة الوطن للنهوض من جديد.

الفهرس

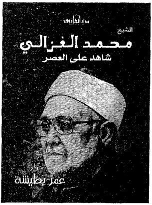
صدر من هذه السلسلة













صدر من هذه السلسلة

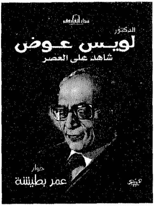








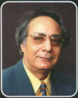






في هذا الحوار

- خالد محيي الدين والشيوعية؟
- ماذا قال محيي الدين عندما قال: «الآن أتكلم»؟
- محيي الدين: المسلم من حقّه أن يتبنّى في نضاله السياسي أيَّ قضية يراها.
- محيي الدين: أنا لم أحجَّ بغرض الدعاية، وتديني هو قضية بيني وبين الله تعالى.
- هل عانى خالد محيي الدين من سلبيات الثورة؟
- محيي الدين: الفئات المثقفة والمتعلمة هم الذين شعروا بقيود الثورة عليهم.
- محيي الدين: لم أشعر بإنجازات عبد الناصر إلا بعد وفاته.
- هل كان خالد محيي الدين يريد إثارة الشغب؟!
- محيي الدين: نحن نطالب بتحريك الناس بالطرق المشروعة.
- خالد محيي الدين والإخوان المسلمين.
- محيي الدين: من يقول الحكم بالإسلام فهذا رجل سياسة.
- ما رأي خالد محيي الدين في تطبيق الشريعة الإسلامية؟
- محيي الدين: أنا ملتزمٌ دستوريًا بتطبيق الشريعة الإسلامية، ولستُ ضد القرآن والسنة.
- الإسلام عقيدة وشريعة للحكم، وليس دينًا ودولة.
- محيي الدين لكل مصري: ابحث عن الحقيقة، وناضل من أجل حقوقك مع الآخرين.



الأستاذ عمر بطيشة

- رئيس الإذاعة المصرية الأسبق.
- خريج آداب إنجليزى عام ١٩٦٤ ودبلوم دراسات عليا فى الإعلام عام ١٩٧١.
- قدم العديد من البرامج الإذاعية التي حصدت الجوائز الذهبية، لكن أشهرها "شاهد على العصر" الذى تم نشر حواراته فى هذه السلسلة من الكتب.
- قدم "شاهد على العصر" في البرنامج العام بالإذاعة المصرية من يناير ١٩٨٣ الى مارس ٢٠٠١ حينما انشغل عنه برئاسة الإذاعة المصرية وجمعية المؤلفين والملحنين.
- كما قدم "شاهد على العصر" تليفزيونيا على شاشة القناة الثقافية من ١٩٩٣ الى ٢٠٠٠.

له ثلاثة دواوين شعريه هى:
- "الهجرة من الجهات الأربع" عام ١٩٧٠
- "أغنية إليها" عام ١٩٨٧
- "قصائد حب" عام ٢٠٠١

كما ألَّف عشرات الأغنيات الذائعة لنجوم الغناء فى الوطن العربى.

دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية
9 789774 555077